215540 ـ نزل القرآن على سبعة أحرف ، فكيف نزلت هذه الأحرف السبعة ؟

السؤال

عندي شبهة أتعبتني حول طريقة نزول الأحرف والقراءات القرآنية .

1- كيف نزلت الأحرف السبعة ؟ هل كان جبريل عليه السلام يكرر على مسمع النبي عليه الصلاة والسلام نفس الآية بعدة أحرف (لهجات) ، أم إنه قرأ الآية مرة واحدة ، والأحرف المختلفة نزلت بنوع آخر من أنواع الوحي ؟

2- كيف نزلت القراءات القرآنية ؟ هل بطريقة التكرار أم نوع وحي آخر ؟ وإذا كانت القراءات نزلت بطريقة تكرار نفس الآية على مسمع النبي ، فهذا يعني أن الآيات تكررت 7 مرات (عدد الأحرف السبعة) + عدد مرات اختلاف القراءات ؟

3- هل القراءات القرآنية التي نقرؤها اليوم هي أوجه مختلفة لحرف قرآني واحد (حرف العرضة الأخيرة) أم إنها باقية من جميع الأحرف الأخرى ؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولا :

نزل القرآن على حرف واحد أول الأمر ، فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يستزيد جبريل عليه السلام حتى أقرأه على سبعة أحرف .

وقد صح عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : " إِنِّي قَدْ سَمِعْتُ أُولَى الْقُرَّاءِ ، فَوَجَدْتُهُمْ مُتَقَارِبِينَ ، فَاقْرَءُوهُ كَمَا عُلِّمْتُمْ ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّنَطُّعَ وَالِاخْتِلَافَ ، إِنَّمَا هُوَ كَقَوْلِ أَحَدِكُمْ : هَلُمَّ وَتَعَالَ " رواه ابن أبي شيبة (6/ 127) .

ثانيا :

القراءات السبعة هي ـ جميعا ـ طرق متنوعة ، في أداء حرف واحد من هذه الأحرف السبعة ، وهو الحرف الذي كتب به المصحف العثماني الإمام ، الذي جمع عثمان رضي الله عنه عليه المسلمين . فإنه لما بلغه اختلاف الناس ، وجاءه حذيفة رضي الله عنه وقال : أدرك الناس ، استشار الصحابة الموجودين في زمانه كعلي وطلحة والزبير وغيرهم ، فأشاروا بجمع القرآن على حرف واحد حتى لا يختلف الناس ، فجمعه رضي الله عنه , وكَوَّن لجنة رباعية لهذا , يرأسهم زيد بن ثابت رضي الله عنه , فجمعوا القرآن على حرف واحد ، وكتبه ووزعه في الأقاليم حتى يعتمده الناس ، وحتى ينقطع النزاع .

فالقراءات السبع أو القراءات العشر موجودة في نفس ما جمعه عثمان رضي الله عنه ، في زيادة حرف ، أو نقص حرف ، أو مد ، أو شكل للقرآن , كل هذا داخل في الحرف الواحد الذي جمعه عثمان رضي الله عنه .

قال ابن الجزري رحمه الله :

" ذَهَبَ جَمَاهِيرُ الْعُلَمَاءِ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ وَأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى أَنَّ هَذِهِ الْمَصَاحِفَ الْعُثْمَانِيَّةَ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى مَا يَحْتَمِلُهُ رَسْمُهَا مِنَ الْأَحْرُفِ السَّبْعَةِ فَقَطْ ، جَامِعَةٌ لِلْعَرْضَةِ الْأَخِيرَةِ الَّتِي عَرَضَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى جِبْرَائِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، مُتَضَمِّنَةٌ لَهَا ، لَمْ تَتْرُكْ حَرْفًا مِنْهَا .

وَهَذَا الْقَوْلُ هُوَ الَّذِي يَظْهَرُ صَوَابُهُ ; لِأَنَّ الْأَحَادِيثَ الصَّحِيحَةَ وَالْآثَارَ الْمَشْهُورَةَ الْمُسْتَفِيضَةَ تَدُلُّ عَلَيْهِ وَتَشْهَدُ لَهُ ... " انتهى من " النشر في القراءات العشر " (1/31-32) .

وقال السيوطي رحمه الله :

" أَخْرَجَ ابْنُ أَشْتَةَ فِي الْمَصَاحِفِ وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي فَضَائِلِهِ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ سِيرِينَ عَنْ عُبَيْدَةَ السَّلْمَانِيِّ قَالَ : الْقِرَاءَةُ الَّتِي عُرِضَتْ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْعَامِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ ، هِيَ الْقِرَاءَةُ الَّتِي يَقْرَؤُهَا النَّاسُ الْيَوْمَ .

وَأَخْرَجَ ابْنُ أَشْتَةَ عَنِ ابْنِ سِيرِينَ قَالَ : كَانَ جِبْرِيلُ يُعَارِضُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلَّ سَنَةٍ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ مَرَّةً ، فَلَمَّا كَانَ الْعَامُ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ عَارَضَهُ مَرَّتَيْنِ ، فَيَرَوْنَ أَنْ تَكُونَ قِرَاءَتُنَا هَذِهِ عَلَى الْعَرْضَةِ الْأَخِيرَةِ .

وَقَالَ الْبَغَوِيُّ فِي شَرْحِ السُّنَّةِ : يُقَالُ إِنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ شَهِدَ الْعَرْضَةَ الْأَخِيرَةَ الَّتِي بُيِّنَ فِيهَا مَا نُسِخَ وَمَا بَقِيَ ، وكتبها لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَرَأَهَا عَلَيْهِ ، وَكَانَ يُقْرِئُ النَّاسَ بِهَا حَتَّى مَاتَ ، وَلِذَلِكَ اعْتَمَدَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فِي جَمْعِهِ وَوَلَّاهُ عُثْمَانُ كَتْبَ الْمَصَاحِفِ " انتهى من " الإتقان " (1/177) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

" القول المرضي عند علماء السلف ، الذي يدل عليه عامة الأحاديث وقراءات الصحابة : أن المصحف الذي جمع عثمان الناس عليه ، هو أحد الحروف السبعة وهو العرضة الأخيرة ، وأن الحروف الستة خارجة عن هذا المصحف . وأن الحروف السبعة كانت تختلف الكلمة ، مع أن المعنى غير مختلف ولا متضاد " انتهى من " الصارم المسلول " (ص 126) .

انظر إجابة السؤال رقم : (5142) ، والسؤال رقم : (125091) ، وينظر فوائد عديدة حول ذلك الأمر ، للشيخ الدكتور مساعد الطيار ، في كتابه : " المحرر في علوم القرآن " (ص 87) وما بعدها .

ثالثا :

طريقة تلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن من جبريل عليه السلام :

كان جبريل عليه السلام يقرأ ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينصت ، فإذا فرغ جبريل من قراءته ، ردد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده ، وذلك القرآن كله بأحرفه .

روى البخاري (3219) ، ومسلم (819) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : (أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ عَلَى حَرْفٍ ، فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ) .

وروى البخاري (5044) ، ومسلم (448) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، فِي قَوْلِهِ : (لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ) ، قَالَ : " كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا نَزَلَ جِبْرِيلُ بِالوَحْيِ ، وَكَانَ مِمَّا يُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَهُ وَشَفَتَيْهِ ، فَيَشْتَدُّ عَلَيْهِ ، وَكَانَ يُعْرَفُ مِنْهُ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ الآيَةَ الَّتِي فِي : (لاَ أُقْسِمُ بِيَوْمِ القِيَامَةِ) ، (لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ، إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ) فَإِنَّ عَلَيْنَا أَنْ نَجْمَعَهُ فِي صَدْرِكَ (وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ) فَإِذَا أَنْزَلْنَاهُ فَاسْتَمِعْ (ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ) " قَالَ : " إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ نُبَيِّنَهُ بِلِسَانِكَ " ، قَالَ : " وَكَانَ إِذَا أَتَاهُ جِبْرِيلُ أَطْرَقَ ، فَإِذَا ذَهَبَ قَرَأَهُ كَمَا وَعَدَهُ اللَّهُ " .

قال ابن كثير رحمه الله :

" يَعْنِي : أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، كَانَ إِذَا جَاءَهُ جِبْرِيلُ بِالْوَحْيِ ، كُلَّمَا قَالَ جِبْرِيلُ آيَةً قَالَهَا مَعَهُ ، مِنْ شِدَّةِ حِرْصِهِ عَلَى حِفْظِ الْقُرْآنِ ، فَأَرْشَدَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى مَا هُوَ الْأَسْهَلُ وَالْأَخَفُّ فِي حَقِّهِ ؛ لِئَلَّا يَشُقَّ عَلَيْهِ . فَقَالَ : (لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ) أَيْ : أَنْ نَجْمَعَهُ فِي صَدْرِكَ ، ثُمَّ تَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَنْسَى مِنْهُ شَيْئًا ، (فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ) ، وَقَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ : (وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ) أَيْ : بَلْ أَنْصِتْ ، فَإِذَا فَرَغَ الْمَلَكُ مِنْ قِرَاءَتِهِ عَلَيْكَ ، فَاقْرَأْهُ بَعْدَهُ " انتهى من " تفسير ابن كثير " (5/319) .

قال ابن عثيمين رحمه الله :

" والقرآن الذي بين أيدينا هو كلام الله عز وجل تكلم به سبحانه وتعالى حقيقة ، كلاما سمعه جبريل ، ثم تلاه جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم " انتهى من " شرح رياض الصالحين " (4/631) .

وقال الشيخ عبد الرحمن البراك حفظه الله :

" مذهب أهل السنة والجماعة أن القرآن كلام الله تكلَّم به وألقاه إلى جبريل الروح الأمين ، فنزل به فأوحاه إلى محمد صلى الله عليه وسلم فألقاه على سمعه وقلبه " انتهى .

رابعا :

كان جبريل يأتيه تارة في صورة رجل ، وتارة يأتيه مثل صلصلة الجرس .

روى البخاري (2) ، ومسلم (2333) عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، أَنَّ الحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، كَيْفَ يَأْتِيكَ الوَحْيُ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الجَرَسِ ، وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ ، فَيُفْصَمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِيَ المَلَكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ) قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : " وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الوَحْيُ فِي اليَوْمِ الشَّدِيدِ البَرْدِ ، فَيَفْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا " .

فكل ما نزل من القرآن بأحرفه السبعة فسبيله ما تقدم ، وكيفية ذلك على التفصيل لا يعلمها إلا الله ، إلا أن المقطوع به أن جبريل عليه السلام نزل بالقرآن كله بأحرفه كلها على محمد صلى الله عليه وسلم ، فكان يقرأ عليه ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينصت ويعي ، فإذا فرغ ردد ما سمعه منه .

ولا يلزم أن يكون ذلك التكرار حاصلا في كل آية ؛ فالظاهر أن تنوع الحروف إنما هو في مواضع وآيات ، معينة ، لا في كل آية ، ولا في كل موضع .
ثم لا نعلم ما وراء ذلك ، من كيفية إحصاء الأحرف السبعة ، وتكرارها ، وعرضها من النبي صلى الله عليه وسلم على جبريل عليه السلام .

على أننا نعود إلى تنبيه القارئ الكريم ، إلى أن قضية " الكيفية " في تلقي هذه الأحرف : لا يتعلق بها كبير شيء ، ولا فيها ذلك الإشكال الذي ينبغي أن يحيره ، فالذي يعنينا أن القرآن نزل على سبعة أحرف ، وأن مصحف عثمان ، هو في القول الظاهر عند أهل العلم : حرف واحد منها ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قد سمع القرآن من جبريل ، وجبريل قد سمعه من رب العالمين ، وهذا : حد ، كاف ، شاف ، في هذا المقام ، لا يترتب على ما رواءه عمل ، كبير ولا صغير .

وراجع للاستزادة إجابة السؤال رقم : (177136) ، والسؤال رقم : (178120) .

والله أعلم .